بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ الدُّكتور/ أحمد الطَّيِّب: تضيفُ بهذا المؤتمرِ العالميِّ نقطةً مضيئَةً إلى تاريخكَ في مشيخةِ الأَزهَرِ، والَّتي اتسمت بالتَّفاعُلِ الإيجابيِّ مع قضايا المُسلِمين، وخِدمَةِ السَّلام العالميِّ بشكلٍ عامٍّ، حتَّى أنَّكم شخصيًا قد انتقلتُم إلى بعض المواقع السَّاخِنَةِ خلافًا لِمَا عهدناه، فَتَحِيَّة لكم.
أنا أُريدُ أن أتحدَّثَ هُنا في عُجَالةٍ -والوقتُ ضيِّقٌ- عن نقاطٍ ثلاثٍ محددة:
النُّقطةُ الأولى:
إنَّ مؤسَّساتِ المجتمعِ المدنيِّ بشكلِها العالميِّ هي التَّيارُ الأقوى في تشكيلِ الرأي العام المُؤَثِّرِ في المُنظَّمات الدَّوليَّة، وفي القضايا الكبرى، يعني الَّذي جعلَ القضيَّة الفلسطينيَّة حيَّةً حتَّى الآن في ضمائرِ الشُّعوب والنُّظم والحكومات -حتَّى رَغم عدمِ تَوزُانِ القوى العسكريَّةِ- هو قوةُ تأثيرِ المجتمع المدنيِّ في العالَمِ كُلِّه.
ودعمُ القضيةِ الفلسطينيَّة لا يختلفُ أحدٌ أنَّ كُلَّ الدُّول -حتَّى الَّتي تُؤَيِّدُ إسرائيلَ- شعوبُها تختلفُ معها، أو أنَّ نسبةً لا بأسَ بها إن لم تكن الأغلبيةَ لا تشاركُها الرأي، وهُنَا تَبدُو أهميَّةُ مؤسَّساتِ المجتمعِ المدنيِّ، وأنا أذكرُ عبارةً لـ «كوفي أنان» حينَ كان سكرتيرًا عامًّا للأمم المتحدة سُئِلَ ما تعريفُ العولمة؟
قال: العولمةُ هي ذلك التَّداخُل بين مؤسَّساتِ المجتمعِ المدنيِّ في دُولِ العالَمِ المختلفةِ. فهذه المؤسَّساتُ لا يتصوَّرُ أحدٌ أنها نوع من اللاكجري، وهي إضافةٌ وليس لها تأثيرٌ، فالبعضُ يَرى أنَّ مثلَ هذا المؤتمر -من قِصَار الرُّؤية- يُضافُ إلى مؤتمراتٍ أخرى تتحدَّثُ، وتَشجُبُ، وتندُدُ، لكن له تأثيرٌ في النَّهاية، تراكُمُ الرَّفض، تَكرارُ الرأي، الإلحاحُ على الفكرةِ يضعُ في ضميرِ الإنسانيَّة شيئًا لا نتجاوزُه أو نتخطاهُ، مِن هُنا فإنَّ القُوى النَّاعمة في الدُّول المختلفة، والأَزهَرُ بالنِّسبةِ لنا في مقدمتِها تُؤَثِّرُ تأثيرًا واضحًا على الرَّأي العام العالميِّ من خلالِ مُؤسَّساتِ المجتمعِ المدنيِّ.
النُّقطةُ الثَّانيةُ:
إنَّني ألفتُ النَّظرَ ونحنُ في رحابِ موقعٍ له تأثيرُه واحترامُه في العالَمِ الإسلاميِّ أنَّ القضيةَ الفلسطينيَّة والقُدسَ -أيضًا جُزءٌ منها- ليست قضيةً دينيةً فقط ولكن لا يغيبُ عن أذهانِكم أنَّها جزءٌ من قضيّةٍ سياسيةٍ: القُدسُ

جزءٌ من أرضٍ فلسطينيةٍ احتُلَّت عام ١٩٦٧م، ينطبقُ عليها كُلُّ قراراتٍ المجتمعِ الدَّوليِّ والشَّرعيَّة في هذا السياق. لا يجبُ أن يغيبَ عن بالِنا ذلك.
نَعَم.. هي مُهمَّةٌ بالنِّسبة للمسلمين، والمسحيين، واليهود، ولكنَّها أيضًا من الجانبِ السِّياسيِّ البحت، وفقًا لقراراتِ الشَّرعيَّة الدَّوليَّةِ الَّتي يجبُ أن يحترمَها الجميعُ، وإسرائيلُ آخِرُ مَن يحترمُها هي جزءٌ لا يتجزَّأُ من الأراضي الفلسطينية المحتلَّة، ينطبقُ عليها ما على غيرِها رغمَ أنَّ لها مكانةً خاصَّةً، ونحنُ نتذكرُ الرَّئيسَ السَّادات في غَمار اتفاقهَ لتوقيعَ السَّلامَ بين مصرَ وإسرائيلَ جنَّبَ القُدسَ، وتبادلَ فيها مصطفى خليل مع مناحم بيجن الرسائلَ أنَّ لها وضعًا خاصًّا يُبحثُ في الحلِّ النِّهائيِّ للصِّراعِ العربيِّ الإسرائيلي، أو للمشكلة الفلسطينيَّة.
النُّقطةُ الثَّالثةُ والأخيرةُ، والَّتِي أَلِحُّ عليها:
لقد تَعوَّدنا دائمًا أن نكونَ ردَّ فعلٍ، إنَّنا نمضي على أجندةٍ يضعُها لنا الطَّرفُ الآخرُ، ترامب قرَّرَ، وهو رجلٌ ليس له كتالوج ولا تاريخٌ سياسيّ ولا مستقبلٌ -إن شاء اللَّه- يَرى أنَّ القُدسَ هي عاصمةٌ أبديةٌ وموحَّدةٌ لإسرائيلَ، من جانبنا نحنُ يجبُ أن ندفعَ بمبادرةٍ مضادةٍ، لا يجبُ أن نتعاملَ مع طرفٍ وِفقًا للورقة الَّتي يطرحُها، لا أعملُ وِفقًا لجدولِهِ بالردِّ عليه، علينا جميعًا في العالَمِ الإسلامي؛ سياسيين واقتصاديين ومفكرين وعلماء، والمؤسَّسات الدينيَّة، وفي مقدمتِها الأزهَر الشَّريف أن نتحدَّثَ بوضوحٍ عن أنَّ القُدسَ هي عاصمةٌ لفلسطينَ أيضًا، القضيَّةُ الَّتي يجبُ أن نطرحَها، ونُرَوِّجَ لها في كُلِّ المحافلِ الدَّوليَّة هي الاقترابُ من الاعترافُ بدولةٍ فلسطينيةٍ مستقلَّةٍ عاصمتُها في القُدس في الجزء الشَّرقي.
وإسرائيلُ بالمناسبةِ -وكان السَّيِّدُ: عمرو موسى وقتَها وزيرًا للخارجية، وكنتُ مُسَاعِدًا له- اقتربت من شيءٍ من ذلك، وبالتَّالي يجبُ الإلحاحُ، لا يكون موقفُنا دائمًا دفاعيًّا، أو رَدَّ فِعلٍ، ولكن نتقدَّمُ نحنُ بمبادراتٍ بديلةٍ تضعُه أيضًا في موقفٍ دفاعيٍّ، مثلما روَّجَ ووافقه البعضُ على أنَّ القُدسَ عاصمةٌ أبديَّةٌ وموحَّدةٌ لإسرائيلَ، سوف نجدُ أكثرَ وأكثرَ ممَّا حصل عليه من دول أخرى ترى حَقَّ الشَّعبِ الفلسطيني في دولةٍ مستقلَّةٍ عاصمتُها في القُدس الشَّرقية، بل إنَّني أزعمُ أنَّ دُوَلًا غربيَّةً سوف تُؤَيِّدُ ذلك، ولذلك دَعنَا نَطرَحُ هذا النَّوعِ من التَّفكيرِ الإيجابيِّ بتقديمِ مبادراتٍ بديلةٍ، وليس المضيَ على النَّهجِ الَّذي يدفعُ به الطَّرفُ الآخر لنقعَ في شِرَاكِه.

وفي النَّهايةِ: لا يسعُنِي إلا أن أقولَ في ظلِّ ضيقِ الوقتِ وقبلَ أن يُنَبِّهَني رئيسُ الجلسةِ أقولُ لكم: إننا في هذا الاجتماعِ يجبُ أن نتأكَّدَ جميعًا من وَحدةِ العالمَينِ الإسلامي والمسيحي تجاه قضيَّةِ القُدسِ.
نَعَم.. هي ليست قضيَّةً دينيَّةً فقط، ولكنَّ القُدسَ هوًى يجمعُ مشاعرَ المسلمينَ والمسيحيينَ والمعتدلينَ من اليهود الحقيقيين تِجَاهَ هذه المدينةِ المُقَدَّسَةِ، لا يوجدُ مدينةٌ مُقدَّسَةٌ من الأديانِ الإبراهيمية الثَّلاث إلا القُدس.. مِن هنا فتحيَّةٌ للقُدس، وللشَّعب الفلسطيني، وللنِّضال الفلسطيني..وشُكرًا.